

السَّلام

عناصر الموضوع

٢٠٤	مفهوم السَّلام
٢٠٥	السَّلام في الاستعمال القرآني
٢٠٦	الألفاظ ذات الصلة
٢٠٨	مظاهر السَّلام في القرآن
٢١٨	مقاصد السَّلام
٢٢٧	من أساليب القرآن في الحديث عن السَّلام
٢٣٢	قواعد السَّلام مع غير المسلمين
٢٣٧	أثر السَّلام على الفرد والمجتمع
٢٤٣	السَّلام بين القرآن و المواثيق الدولية

مفهوم السلم

أولاً: المعنى اللغوي:

يقول ابن فارس: «(سلم) السنين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية، ويكون فيه ما يشد، والشاذ عنه قليل، فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى»^(١).

فمن معانيه: الحياد وعدم وجود العلاقة بين طرفين، والعافية والسلامة من الأذى والآفات، وعلامة المسالمة وعدم وجود الحرب، وقول سيد لا لغو فيه، وقيل: قالوا سلاماً أي سداداً من القول وقصدًا لا لغو فيه، وبمعنى ضد الحرب، والاستسلام والانقياد وإظهار الخضوع^(٢).

فأكثر المعاني تعود لباب الصحة والعافية والسلامة.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

أما في الاصطلاح الشرعي فقد عرفه الماوردي بقوله: «أمن عام تطمئن إليه النفوس وتنشر فيه الهم ويسكن إليه البريء ويأنس إليه الضعيف»^(٣).

وقال الراغب «السلم والسلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة»^(٤).

وتعرف إحدى الباحثات السلم بأنه: «غياب المظاهر السلبية في المجتمعات الإنسانية وكل ما له علاقة بالعنف، أو بحضور المظاهر الإيجابية مثل: الهدوء والاستقرار، والصحة، والنماء»^(٥).

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٩٠/٣.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٢٨٩/١٢، جمهرة اللغة، ابن دريد ٨٥٨/٢، الصحاح، الجوهري ١٩٥٠/٥.

تاج العروس، الزبيدي ٣٧١/٣٢.

(٣) أدب الدنيا والدين، الماوردي ١٤٢/١.

(٤) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٤٢١.

(٥) لغة الحوار وأثرها على السلم الاجتماعي، مي عمر نايف ص ٣.

السلم في الاستعمال القرآني

وردت مادة (سلم) في القرآن الكريم (١٤٠) مرة، يخص موضوع البحث (٣) مرات^(١). والصيغ التي وردت، هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
السلم	١	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]
السلم	٢	﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأَنْفَال: ٦١]

وجاء السلم في الاستعمال القرآني على وجهين^(٢):

الأول: الصلح: ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأَنْفَال: ٦١].

الثاني: شرائع الدين: ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]. يعني: في الدين.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٣٥٥-٣٥٧.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني ص ٢٦٥-٢٦٦.

الألفاظ ذات الصلة

١ الأمن:

الأمن لغة:

ضد الخوف، والفعل منه: أمن يأمن أمناً^(١).

الأمن اصطلاحاً:

عدم توقع مكروه في الزمان الآتي^(٢)، وأصله: طمأنينة النفس وزوال الخوف^(٣).

الصلة بين الأمن والسلم:

الأمن حالة من الاطمئنان ضد الخوف، سواء كان الخوف من الحاضر أو من المستقبل، وأكثر ما يستعمل في الأمن الداخلي، أما السلم فتعم السلم الداخلي والخارجي، فكلمة السلم أعم.

٢ الأمان:

الأمان لغة:

هو طلب الأمن وتأمينه للغير^(٤).

الأمان اصطلاحاً:

وهو الذي يعطى للكافر الحربي فلا يجوز التعرض له، ويدخل دار الإسلام آمناً، ويجب على المسلمين رعاية هذا الأمان ومقتضاه ما دام قائماً^(٥).

الصلة بين الأمان والسلم:

الفرق بينهما واضح بين، إن المستأمن يكون في حالة سلم لا يحارب ما دام في عقد الأمان، وطلب الأمان لا يكون للمسلم لعدم احتياجه إليه، فالعقد خاص بغير المسلم.

٣ المودة:

المودة لغة:

مأخوذ من مادة (و د ع) بمعنى الترك، «وادع بني فلان أي صالحهم وسالمهم على

(١) العين، الفراهيدي ٣٨٨/٨.

(٢) التعريفات، الجرجاني، ص ٣٧.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٦٣.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٢١/١٣.

(٥) انظر: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، عبدالكريم زيدان ص ٤٦-٤٧.

ترك الحرب والأذى، وحقيقة المودعة المتاركة أي: يدع كل واحد منهما ما هو فيه»^(١).
فالمودعة: المصالحة والمسالمة.

المودعة اصطلاحًا:

وقد عرفت المودعة بأنها ترك القتال. قال شهاب الدين الشلبي: «إنما سميت المصالحة مودعة لما فيها من ترك القتال. والودع الترك»^(٢).

الصلة بين السلم والمودعة:

المودعة نوع من السلم تكون مع المحاربين، فالسلم أشمل وأعم.

٤ الحرب:

الحرب لغة:

نقيض السلم، ورجل محرب أي شجاع، وفلان حرب فلان أي يحاربه، وحربته تحريبا أي حرشته على إنسان فأولع به وبعداوته^(٣).

الحرب اصطلاحًا:

قال المناوي: «دفع بشدة عن اتساع المدافع بما يطلب منه الخروج فلا يسمح به ويدافع عنه بأشد مستطاع»^(٤).

وقال الجرجاني: «وهو القتال بين فئتين»^(٥).

الصلة بين السلم والحرب:

السلم ضد الحرب، ولا يجتمعان.

(١) لسان العرب، ابن منظور ٨/ ٣٨٦.

(٢) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، الزيلعي ٣/ ٢٤٥.

(٣) انظر: العين، الفراهيدي ٣/ ٢١٣.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ١/ ١٣٧.

(٥) التعريفات، الجرجاني ص ١٠٤.

مظاهر السلم في القرآن

أولاً: السلم العقدي:

يقصد بالسلم العقدي كل ما يحقق للفرد المؤمن الحماية والسلامة والأمان والاطمئنان في نفسه ودينه ومجتمعه. ويتحقق هذا الأمان بمعرفة الحقائق الدينية المجموعة في أركان الدين الواردة في حديث جبريل عن أبي هريرة قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلغائه ورسله، وتؤمن بالبعث). قال: ما الإسلام؟ قال: (الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان). قال: ما الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك). قال: متى الساعة؟ قال: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تناول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]. ثم أدير، فقال: ردوه. فلم يروا شيئاً. فقال: (هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم) (١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

وقد فسر البعض العذاب المذكور في الآية بعذاب القبر، ولكن العلامة السعدي يفسر الضنك الوارد في الآية «بما يصيب المعرض عن ذكر ربه، من الهموم والغموم والآلام، التي هي عذاب معجل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة، لإطلاق المعيشة الضنك، وعدم تقيدها» (٢).

فالتوافق مع الذات ومطابقة الظاهر للباطن وعدم التناقض بين عقيدة الإنسان وسلوكه اليومي من أهم سمات ومظاهر الإنسان السليم.

يقول سيد قطب: «إن الإسلام يبدأ محاولة السلام أولاً في الضمير، ثم في محيط الأسرة، ثم في وسط الجماعة، وأخيراً يحاوله في المحيط الدولي بين الأمم والشعوب الأخرى» (٣).

وقد خصص سيد قطب في كتابه (السلام العالمي والإسلام) مساحةً واسعة من كتابه لشرح أثر العقيدة الإسلامية في الإنسان سماه (سلام الضمير) و(المنطق والعقيدة) بين فيه بساطة ووضوح العقيدة الإسلامية

والإحسان وعلم الساعة، رقم ٥٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥١٥.

(٣) السلام العالمي والإسلام، سيد قطب ص ٣٣.

أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه: يقول: يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه^(٣). فراحة البال وهداية القلب متلازمان.

٢. الشعور بالأمن.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُنْتَهَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «أولئك لهم الأمن دون غيرهم من العقاب الديني المتعلق بأصل الدين وهو الخلود في دار العذاب»^(٤). فعدم الوقوع في الشرك تتبعه الشعور بالأمن.

٣. السعادة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فِذْلَكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

[يونس: ٥٧-٥٨].

يقول الزمخشري: «قد جاء تكم موعظة، أي: قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد، وهو فيه شفاء أي: دواء مما يجمعون صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن به منكم»^(٥).

(٣) جامع البيان، الطبري ٢٣/٤٢١.

(٤) المنار، محمد رشيد رضا ٧/٤٨٤.

(٥) الكشاف، الزمخشري، ٢/٣٣٦.

في كافة المسائل بلا غموض ولا تعقيد وبدون ألغاز ومعميات، وقارن بينه وبين ما عند الكنيسة من الآراء الغامضة ودور رجال الدين الكهنة في إضلال الناس^(١).

أثر التوحيد بأنواعه في السلم الداخلي:

مما لا شك فيه أن الإنسان المؤمن لا يعيش في صراع داخلي مع نفسه، وذلك راجع للتوحيد الذي يؤمن به.

يقول الدكتور القرضاوي: «عقيدة التوحيد سمت بأنفس المؤمنين... فلم يعد بشر يسجد لبشر أو ينحني لبشر أو يقبل الأرض بين يدي بشر، وهذا أصل الأخوة الإنسانية الحققة، وأصل الحرية الحققة، وأصل الكرامة الحققة؛ إذ لا أخوة بين عابد ومعبود، ولا حرية لإنسان أمام إله أو مدعي ألوهية، ولا كرامة لمن يركع أو يسجد لمخلوق مثله أو يتخذ حكمًا من دون الله»^(٢).

علامات صحة النفس:

ولصحة النفس وسلامتها من الآفات والأمراض، أمارات تعرف بها:

١. هداية القلب وراحة البال.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

يقول الطبري: «ومن يصدق بالله فيعلم

(١) انظر: المصدر السابق، ص ٣٨.

(٢) الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي ص ٣١-٣٢.

الآجال التي للأشياء عامة. وقال الضحاك والفراء: المعنى لكل كتاب أجل^(٣).

ثانيًا: السلم في العبادات:

شرع الله سبحانه العبادات للإنسان لكي يتقرب به إلى الله تعالى، والعبادة كلمة جامعة لكل معاني الخير كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية^(٤). ومع ذلك فإن لكل عبادة أهدافًا وغايات أخرى تتحقق بالالتزام بتلك العبادات، وأحاول أن أركز على أهم العبادات وآثارها على إشاعة السلم والأمان في نفسية الفرد وفي المجتمع.

٦. الصلاة والسلم.

الصلاة لا تكون في تمام وطمأنينة إلا في ظل الأمن؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا لَا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩].

يقول السعدي في تفسير الآية: «قوله ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

أي: ذليلين خاشعين، ففيه الأمر بالقيام والقنوت والنهي عن الكلام، والأمر بالخشوع، هذا مع الأمن والطمأنينة^(٥).

والمصلي يكتسب المناعة ضد كل سلوك جرمي وتقيه من الأمراض الفتاكة

وفي معنى السعادة يقول الشيخ السعدي: «إذا حصل الهدى، وحلت الرحمة الناشئة عنه، حصلت السعادة والفلاح، والريح والنجاح، والفرح والسورور؛ ولذلك أمر تعالى بالفرح بذلك.. فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها، وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب^(١). فسعادة المرء دليل على صحة قلبه.

٤. الاطمئنان على الرزق.

قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

فالأرزاق تنزل من السماء فلا داعي للقلق، قال البغوي: «قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق، وما توعدون، قال عطاء: من الثواب والعقاب. وقال مجاهد: من الخير والشر^(٢).

٥. الاطمئنان على الأجل.

قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

جاء في تفسيره «لفظ عام في جميع الأشياء التي لها آجال، وذلك أنه ليس كائن منها إلا وله أجل في بدئه أو في خاتمته، وكل أجل مكتوب محصور فأخبر تعالى عن كتبه

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية ٣/ ٣٢٠.

(٤) انظر: العبودية، ابن تيمية ص ٣٨.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٠٦.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٦٦.

(٢) معالم التنزيل، البغوي، ٤/ ٢٨٤.

من حِكم الصوم بقوله: «ومن وجوه إعداد الصوم للتقوى: أن الصائم عندما يجوع يتذكر من لا يجد قوتاً فيحمله التذكر على الرأفة والرحمة الداعيتين إلى البذل والصدقة، وقد وصف الله تعالى نبيه بأنه رءوف رحيم، ويرتضي لعباده المؤمنين ما ارتضاه لنبيه صلى الله عليه وسلم، ولذلك أمرهم بالتأسي به»^(٢).

ومن ثمار الصوم أيضاً: توطيد العلاقات الاجتماعية بين المؤمنين، غنيهم وفقيرهم فهو يغرس في نفوس الموسرين روح البذل والعطاء حين يحسون وهم صائمون بالحاجة إلى الطعام، فيكون ذلك الجوع المؤقت مدعاةً لتذكر جوعة الفقير الدائمة بسبب الحاجة والحرمان.

٨. الزكاة والسلم.

أصل الزكاة النمو والبركة^(٣)، وهو أحد مباني الإسلام ولأهميتها قرنت في القرآن الكريم بالصلاة. وشرع الزكاة كما أشار إليه الآية الكريمة إلى التطهير والترقية.

ولو أردنا أن نبين العلاقة بين فريضة الزكاة والسلم الداخلي أو السلم بين أفراد المجتمع، يجدر بنا أن نذكر أهم حِكَمها. وقد ذكر العلماء لها حِكَمًا وفوائد، ونحن هنا نذكر فقط الحِكم المتعلقة بالبحث:

(٢) المنار، محمد رشيد رضا ١١٩/٢.

(٣) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٢١٣.

بالفرد والمجتمع، وقال تعالى مبيناً هذه الحكمة من الصلاة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فالمصلي إذا أدى الصلاة كما أمر، اكتسب طاقة روحية تقيه من كل فاحشة ومنكر.

والصبر مع الصلاة شعار سلمي يرفعه المسلم لمواجهة أعباء الحياة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والمسلم لا يخرج من الصلاة قبل التلفظ بعبارة السلام عليكم.

مما سبق تبين لنا متانة العلاقة بين عبادة الصلاة وبين السلم.

٧. الصوم والسلم.

قال تعالى مبيناً أثر عبادة الصوم في السلوك الإيجابي للمسلم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَكُمْ ثَمَرٌ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فالصيام يعد الناس ليصلوا إلى مرتبة التقوى. والوقاية هي؛ «حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، فالتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف»^(١).

وينقل الشيخ محمد رشيد رضا بعضاً

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٨٨١.

الزكاة جزء من خطة الإسلام للقضاء على الفقر في المجتمع: ففي الزكاة دفع لحاجات الفقراء. وحول أهداف الزكاة يقول الدكتور القرضاوي: «ومن هذه الأهداف ما له صبغة اجتماعية، كمساعدة ذوي الحاجات والأخذ بأيدي الضعفاء من فقراء ومساكين وغارمين وأبناء سبيل، فإن مساعدة هؤلاء تؤثر فيهم بوصفهم أفراداً، وتؤثر في المجتمع كله باعتباره كياناً متماسكاً»^(١).

مكافحة الإجرام في المجتمع، وفي هذا يقول الدكتور الزلمي «أثبتت فلسفة التشريعات الجنائية بالاستقراء أن من أهم عوامل ارتكاب الجرائم (بوجه خاص الجرائم الاقتصادية)، عامل الفقر والحاجة. فتسديد حاجة المحتاجين مادياً يقلل من ظاهرة الانحراف نحو السلوك الجرمي»^(٢). فالزكاة تمنع الجرائم المالية، مثل: السرقات والنهب وما أشبه ذلك لاستغناء الفقراء عن هذه الجرائم بإعطائهم الزكاة أو بالصدقة والإحسان إليهم.

شيوخ روح المحبة والألفة بين الفقراء والاغنياء: فمن أهداف الإسلام الكبرى بناء المجتمع السليم المتآخي البعيد عن أسباب الحقد والغضاء. وأداء الزكاة كفيل بتحقيق

(١) فقه الزكاة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص ٨٨٠.

(٢) حكم أحكام القرآن، مصطفى الزلمي ص ٥٠.

هذه الأهداف.

تطهير نفوس الأغنياء من الطغيان الذي سببه الغنى وكثرة المال. والطغيان من الرذائل الخلقية، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ [العلق: ٦].

فالطغيان هو التعاضم والكبر، والاستغناء هو شدة الغنى، فمن طبع الإنسان أن يطغى ويتكبر ويتعاضم على غيره إذا أحس من نفسه الاستغناء^(٣).

٩. الحج والسلام.

الحج من أهم العبادات التي تتجلى فيها بوضوح معاني السلم، وتوضيح ذلك تكون من خلال:

الحج تدريب للمسلم على السلام، فوقعها في أشهر حرمت فيها القتال، وفي بلد سمي ببلد الحرام، وفي حال تمنع فيه حتى الصيد، كل ذلك تمنح المسلم جواً تسوده السلام والأمن والأمان، إن الحج لا يتحقق إلا مع الأمن والسلام؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِّنْ تَمَنٍّ وَالْمُزْجَرِ إِلَى الْحَجِّ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وحذر القرآن الكريم من أكل أموال الناس بالباطل، وذلك من أجل بناء مجتمع متحاب.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤٤٤/٣٠.

بِالْبَطْلِ ﴿[البقرة: ١٨٨].

بطريقة تجعل الحاج في سلم شامل، ليس مع الناس فقط، بل مع كل شيء؛ الشجر والحجر والحيوان ومع الكون كله، تسليماً لرب العالمين.

ثالثاً: السلم في الأخلاق:

للأخلاق الإسلامية أثر كبير في إشاعة الأمن والاستقرار النفسي في نفسية المتخلق بها، «إنها تحقق للفرد الإحساس بالأمان؛ إذ هو يستعين بها على مواجهة ضعفه وضعف نفسه، ومواجهة التحديات والعقبات التي تواجهه في حياته، كما أنها تعمل على إصلاح الفرد نفسياً، وتوجهه نحو الخير والإحسان الواجب وكافة مكارم الأخلاق التي تضمن حياة نظيفة في الدنيا وجزاء أوفى في الآخرة»^(٢).

فالأخلاق يمنح الإنسان السعادة ورضى الضمير، والبعد عن القلق والاضطراب وكثير من الأمراض النفسية.

أما عن أثر الأخلاق في الحفاظ على السلم الاجتماعي والاستقرار فيقول الدكتور الزلمي: «إن المتدبر في آيات الله يجد أن الروح السائدة في القرآن الكريم من أوله إلى آخره روح خيرة ورشيدة تدعو إلى العلم والعمل والحرية والمساواة والعدل والرحمة والهدى والحق والإحسان والإيثار

والذي ينوي أداء الحج يجب عليه أن يؤدي الحقوق الواجبة عليه، قبل السفر إلى الديار المقدسة، وهذا الأداء يكون من خلال:

❖ إرضاء الخصوم برد المظالم إلى أصحابها وقضاء الديون ورد الأمانات والودائع. وهذا الحكم (رد الحقوق) عام، سواء كان الاعتداء بالقول كالسب والشتم أو الغيبة، أو بالفعل كالقتل والجرح.

❖ أن يترك لأهله ولده وزوجته ومن له حق النفقة عليه، ما يكفيهم ويقضي حاجاتهم ومتطلبات حياتهم ما يغنيهم في فترة غيابهم^(١).

❖ الحج والتكافل الاجتماعي: من حُكِم الحج أنها وسيلة لاجتماع المسلمين في كافة أنحاء العالم.

❖ البعد عن الأذى في الحج: قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والقرآن الكريم حريص على تهذيب سلوك الحاج أثناء أداء العبادة وتخليصه من السلوك المخل بالعبادة، ورتب شعائر الحج

(٢) موسوعة نضرة النعيم، مجموعة مؤلفين، ٨٥/١.

(١) انظر: المقاصد في المناسك، عبد الوهاب سليمان، ص ٥٣.

والإنفاق والتكافل والتضامن والصدق والأمانة والإخلاص ، إلى غير ذلك من الفضائل الإنسانية التي يجب أن يتحلى بها الإنسان^(١).

وهذه الأخلاق المذكورة كلها تسهم في بناء العلاقات الاجتماعية القوية، فالأخلاق ضرورة اجتماعية لا غنى عنها، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيلة والرباط بين الناس، تفكك بناء المجتمع، فانهيار خلق من الأخلاق يقابله انقطاع رابطة من الروابط الاجتماعية.

فخلق الصبر مثلاً له أثر كبير في إدامة واستقرار العلاقة الزوجية.

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «فإن كرهتموهن لعيب في الخلق، أو الخلق مما لا يعد ذنباً لهن، لأن أمره ليس في أيديهن، أو التقصير في العمل الواجب عليهن في خدمة البيت والقيام بشئونه مما لا يخلو عن مثله النساء وكذا الرجال في أعمالهم، أو الميل منكم إلى غيرهن، فاصبروا»^(٢).

فالقرآن أمر بالصبر حتى إن أحس الزوج بالنفرة لزوجه.

(١) حكم أحكام القرآن، مصطفى الزلمي ص ٢٧.

(٢) المنار، محمد رشيد رضا ٤/ ٣٧٤.

وفي قصة موسى مع العبد الصالح تعليم لنا أن على التلميذ التحلي بالصبر إذا أراد العلم، فالصبر في مجال العلاقات الإنسانية إحدى مجالات الصبر المأمورة بها المسلم.

وكذلك بقية مكارم الأخلاق المأمور بها، كل منها لها أثر كبير عند التحلي بها في إرساء دعائم السلام في المجتمع، والعكس صحيح. وإذا شاع بين الأفراد مكارم الأخلاق، ربط بينهم بأوثق الروابط من الألفة والثقة والتعاون ، ونشأ منهم مجتمع قوي فاضل ، متماسك كالبنيان، متعاطف

كالجسد، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ونستطيع أن نوجز أثر الأخلاق في تماسك المجتمع في جملة من النقاط:

✽ «تحفظ على المجتمع تماسكه، فتحدد له أهداف حياته، ومثله العليا، ومبادئه الثابتة المستقرة التي تحفظ له هذا التماسك والثبات اللازمين لممارسة حياة اجتماعية سليمة ومتواصلة.

✽ تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه، بتحديد الاختيارات الصحيحة والسليمة التي تسهل على

العقل البشري ما عداها في ضوء حاجاته ومتطلباته وفي حدود المبادئ التي حددها له القرآن الكريم.

أهم المقاصد التي أرساها القرآن الكريم في المعاملات المالية:

ولزيادة توضيح العلاقة بين المعاملات التي شرعها القرآن الكريم وأثرها في تحقيق السلم في المجتمع، لابد من ذكر أهم المقاصد في المعاملات المالية المتعلقة بالموضوع، فقد أرسى القرآن الكريم دعائم أساسية لثبيت السلم من خلال مبادئ مذكورة في آيات كثيرة:

١. مبدأ العدل.

أي: تحقيق العدل والمساواة بين المتعاقدين البائع والمشتري في عقد البيع مثلاً.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ [المائدة: ٨].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «والقسط هو ميزان الحقوق، متى وقعت فيه المحاباة والجور لأي سبب أو علة من العلل زالت الثقة من الناس، وانتشرت المفاسد وضروب العدوان بينهم، وتقطعت روابطهم الاجتماعية، وصار بأسهم بينهم

الناس حياتهم، وتحفظ على المجتمع استقراره وكيانه في إطار موحد.

✽ تربط أجزاء المجتمع بعضها ببعض حتى تبدو متناسقة، كما أنها تعمل على إعطاء النظم الاجتماعية أساساً إيمانياً وعقلياً يصبح عقيدة في ذهن أعضاء المجتمع.

✽ تقي المجتمع من الأنانية المفرطة والنزعات والأهواء والشهوات الطائشة التي تضربه وبأفراده ونظمه.

✽ تزود المجتمع بالصبغة الملائمة التي تربط بين نظمه الداخلية من اقتصادية وسياسية وإدارية، وبالتالي تحوطه بسياسات حام من التفكك والانحلال»^(١).

رابعاً: السلم في المعاملات:

المراد بالمعاملات: الأحكام الشرعية المنظمة لتعامل الناس في الدنيا، من بيع وشراء وإجارة ورهن وكتابة دين وغيرها^(٢).

لا ريب أن القرآن الكريم أعطى أهمية لتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع من بيع وشراء ورهن وكتابة دين وغيرهم. وقد اقتصر القرآن الكريم في ذكر المعاملات على العناصر الأساسية من الأحكام، وخول

(١) موسوعة نضرة النعيم، مجموعة مؤلفين، ٨٦/١.

(٢) انظر: مقاصد الشريعة في المعاملات المالية عند ابن تيمية، ماجد العسكر، ص ٣٦.

شديدًا، فلا يلبثون أن يسלט الله تعالى عليهم بعض عباده الذين هم أقرب إلى إقامة العدل والشهادة بالقسط منهم، فيزيلون استقلالهم، ويذيقونهم وبالهم»^(١).

ولما كانت المعاملات سببًا للمشاحنات، فقد اشتملت التجارات والمعاملات على ظلم وهضم للحقوق، فقد منع القرآن الكريم الظلم بجميع أنواعه وصوره. وإن من أعظم وسائل الشريعة في تحقيق مقصد العدل ومنع الظلم إباحة البيع وتحريم الربا، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ثم نبه سبحانه عند ختم آيات تحريم الربا على على المقصود الشرعي من إباحة البيع وتحريم الربا، وهو تحقيق العدل ونفي الظلم. ﴿وَإِنْ تَبَيَّنَ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

٢. مبدأ الصدق والبيان في المعاملات المالية.

والمراد به الصدق والبيان والتوضيح في جميع أجزاء العقد وفي كل مراحله، لما في الكتمان والكذب من مفسد تهدد السلم الاجتماعي ويفضي إلى التنازع والخلاف^(٢).

(١) المنار، محمد رشيد رضا ٢٢٦/٦.

(٢) انظر: تفعيل المقاصد الشرعية في المالية الإسلامية: التأصيل والتطبيق، صالح محمد الفوزان، ص ٥٠.

ومن الأمثلة على تحريم الكذب في المعاملات:

✽ الأمر بكتابة الدين لتوثيقها كما في آية الدين، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾

[البقرة: ٢٨٢]. قال البيضاوي: «وفائدة

ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه إلى المؤجل والحال، وأنه الباعث على الكتابة ويكون مرجع ضمير فاكْتُبُوهُ إلى أجل مسمى معلوم بالأيام والأشهر لا بالحصاد وقدم الحاج. فاكْتُبُوهُ لأنه أوثق وادفع للنزاع، والجمهور على أنه استحباب»^(٣).

✽ الأمر بالإشهاد على الحقوق المالية، كما في الآية الكريمة ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَفْضَلَ إِحْدَهُمَا فَقَدْ حَكَمَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]. قال

البيضاوي: «واطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين، وهو دليل اشتراط إسلام الشهود، وإليه ذهب عامة العلماء»^(٤).

✽ تشريع الرهن، وهو توثيق دين بدين،

(٣) أنوار التنزيل، البيضاوي ١/ ١٦٤.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٦٤.

يَبْنِيكُمْ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴿١﴾
[المائدة: ٩١].

يقول الشيخ المراغي: «إن الشيطان يريد لكم شرب الخمر ومياسرتكم بالقداح ليعادي بعضكم بعضاً ويغض بعضكم إلى بعض عند الشراب والمياسرة، فيشتت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان، وجمعه بينكم بأخوة الإسلام، ويصرفكم بالسكر والاشتغال بالميسر عن ذكر الله الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم، وعن الصلاة التي فرضها عليكم، تزكية لنفوسكم وتطهيراً لقلوبكم»^(٣).

٤. مبدأ عدم التعدي على أموال الناس بالباطل، وتوفر عنصر الرضا وطية النفس.

وقد منع القرآن الكريم التعدي على أموال الناس وأكل أموالهم بالباطل، وذلك لتحقيق استقرار المجتمع وحماية مصالح أفراد.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

فكل عقد لم يتوفر فيه رضا الطرفين وحصل عنصر الإكراه والخداع والغش، فهو حرام بنص الآية الكريمة. وتحت باب

(٣) تفسير المراغي ٧/ ٢٣.

﴿إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٨٣]^(١).

يقول الرازي: «اعلم أنه تعالى جعل البياعات في هذه الآية على ثلاثة أقسام: بيع بكتاب وشهود، وبيع برهان مقبوضة، وبيع الأمانة، ولما أمر في آخر الآية المتقدمة بالكتابة والإشهاد، واعلم أنه ربما تعذر ذلك في السفر إما بأن لا يوجد الكاتب، أو إن وجد لكنه لا توجد آلات الكتابة ذكر نوعاً آخر من الاستيثاق وهو أخذ الرهن، فهذا وجه النظم وهذا أبلغ في الاحتياط من الكتابة والإشهاد»^(٢).

٣. مبدأ تحقيق التعاون والاجتماع والاتلاف.

وهي من أعظم مقاصد الشريعة وخاصة في المعاملات المالية.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ومن الأمثلة عليه:

تحريم الميسر؛ لكونه أعظم وسائل الشيطان للوقعة بين المسلمين وشق صفهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ

(١) انظر: المقاصد الشرعية وأثرها في فقه المعاملات المالية، رياض منصور الخليلي، ص ٣١-٣٣.

(٢) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ٧/ ٩٩.

مقاصد السلم

أولاً: الاعتصام والوحدة:

الاعتصام في الاصطلاح يأتي بمعنى: التمسك بالدين والوثوق بوعد الله والالتجاء إليه في دفع شرور الكفار ومكائدهم. وهذه المعاني تربي من فهمها على أهمية الوحدة والاجتماع.

وقد اهتم القرآن الكريم ببناء العلاقات بين المسلمين وتمتينها باعتبارها ضرورة دينية لا غنى للمسلم عنها، واستخدم أساليب عديدة لتأكيد هذه الوحدة.

أساليب القرآن الكريم في الحفاظ على الوحدة الإسلامية والاعتصام بحبل الله:

١. التحذير من التنازع والاختلاف والتفرق؛ لأنه موجب لعذاب الله..

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

يقول الشيخ ابن عاشور: «وأولئك لهم عذاب عظيم مقابل قوله في الفريق الآخر: وأولئك هم المفلحون، فالقول فيه كالقول في نظيره، وهذا جزاء لهم على التفرق والاختلاف وعلى تفريطهم في تجنب أسبابه»^(١).

٢. الحض على الإخاء بين المؤمنين

الأكل بالباطل تدخل كثير من المعاملات المالية، كالغصب والسرقة والخيانة، وعقود الربا والقمار؛ لأنها من أكل أموال الناس بالباطل.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤/ ٤٣.

وتقويته بشتى السبل.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقد أحاط القرآن الكريم هذه العلاقة بمجموعة من التدابير الوقائية للحفاظ عليها:

فقد نهى عن السخرية والتنازع بالألقاب والظن والتجسس والغيبة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَتَمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١١-١٢].

فهذه الآيات كما يقول سيد قطب «تقيم سياجا آخر في هذا المجتمع الفاضل الكريم حول حرمان الأشخاص به وكراماتهم وحررياتهم، بينما هي تعلم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم، في أسلوب

مؤثر عجيب»^(١).

٣. النهي عن العصبية والتحذير من مكائد غير المسلمين من أهل الكتاب ومن غيرهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فِرْقًا مِّنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ [١٠٠] وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «بعد ما ويخ أهل الكتاب على كفرهم وصدهم عن سبيل الله وهو الإسلام، أثر إقامة الحجج عليهم وإزالة شبهاتهم، ناسب أن يخاطب المؤمنين مبينا لهم أن من كان هذا شأنهم في الكفر، وهذا شأن ما دعوا إليه في ظهور حقيقته، لا ينبغي أن يطاعوا ولا أن يسمع لهم قول، فإنهم دعاة الفتنة ورواد الكفر»^(٢).

٤. التحذير من الفرقة والاختلاف.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ عَذَابُ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

قال الراغب الأصفهاني في سبب استحقاق أهل الكتاب العذاب: «نبه بقوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ عَذَابُ عَظِيمٌ﴾ أن سبب

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/ ٣٣٤٥.

(٢) المنار، محمد رشيد رضا ٤/ ١٦.

استحقاقهم العذاب افتراقهم واختلافهم، تنبيهاً أنكم إن فعلتم فعلهم استحققتهم العذاب استحقاقهم»^(١).

نهى عن الخباثات المفضية إلى الفرقة والعداوة.

قال تعالى: ﴿فَتَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا يَصْرِفُونَ بِمَبِينٍ أَلَمٍّ وَرَّجِيمٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والنهي هنا عن السحر، لدوره في إفساد الرابطة الزوجية، وقال تعالى في تحريم الخمر والميسر ذاكراً للحكمة من التحريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

لذلك فقد نهى القرآن الكريم عن كل ما يؤدي إلى إيغار الصدور والعداوة والبغضاء.

٥. أمر بإصلاح ذات البين.

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

ويراد بالإصلاح هنا «إزالة المنازعات والخصومات، وإحلال الألفة والمودة بين الناس سواء بين الزوجين، أو الورثة أو

(١) تفسير الراغب الأصفهاني، ٧٧٩/٢.

الإخوة أو غير ذلك»^(٢).

٦. أمر في آيات كثيرة بإفشاء السلام وإطعام الطعام، وآداب أخرى كلها تحافظ على وحدة الأمة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

وفي إطعام الطعام أثنى عليهم فقال: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْدٍ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

وفي الاعتصام صلاح المرء، وهو يورث محبة الله والعباد، ويجنب الإنسان مسالك الشيطان، وفي الاعتصام قوة الأمة؛ لأن الجماعة رحمة والفرقة عذاب. وثمرة الاعتصام في الآخر سعادة الدارين.

ثانياً: رفع الشقاق والتنازع:

فالصلح والسلم ليس رافعاً للنزاع فقط، بل مانع لوقوعه أيضاً، حيث يقوم بدور وقائي لمنعه، وإذا كان رفع النزاع والشقاق من أهم مقاصد السلم فقد بين العلماء معنى الصلح واشتقاقاته بأنه رفع النزاع والتخاصم.

فالإصلاح: «الوسائل المتنوعة المتعددة التي يزال بها الفساد أو النزاع أو الخصومة، أما المصالحة فهي العقد الذي يصل إليه المصلحون في جهودهم

(٢) الإصلاح في القرآن الكريم، فائزة عدلي، ص ٥٦.

بعد وقوعه»^(٣).

٨. رفع النزاع بين الزوجين.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨].

فالآية واردة في الصلح بين الزوجين في حالة النشوز أو الإعراض، وكيفية رفع الخلاف بينهما.

قال الإمام القرطبي: «وَالصُّلْحُ خَيْرٌ» ويدخل في هذا المعنى جميع ما يقع عليه الصلح بين الرجل وامرأته في مال أو وطء أو غير ذلك. خير أي خير من الفرقة؛ فإن التماذي على الخلاف والشحناء والمباغضة هي قواعد الشر»^(٤).

٩. رفع النزاع بين أفراد المجتمع.

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

«ومع أن الخلاف والصراع أمر محتمل الوقوع بين المؤمنين باعتبارهم بشرًا، لهم مصالح وأهواء، لكن المجتمع عليه أن يتدخل لوضع حد لهذا الصراع»^(٥).

فبالخلاف أمر محتم، وسرعة العلاج

الإصلاحية، والصلح اسم منه، وهو التوفيق أو الاتفاق الذي يصل إليه المصلحون بعد إصلاحهم»^(١).

والقرآن الكريم يبني السلم الاجتماعي الذي يقصد به «حالة الهدوء والاستقرار والثبات والاتفاق والانسجام، وفي العلاقة بين شرائحه وأفراده وقواه العديدة المختلفة»^(٢).

وذلك من خلال:

٧. رفع النزاع بين الورثة.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢].

والآية واردة في كيفية رفع النزاع بين الورثة حال الوصية دون إضرار بالورثة ولا تبذير للوصية.

قال الطبري: «من معاني الإصلاح الإصلاح بين الفريقين، فيما كان مخوفًا حدوث الاختلاف بينهم فيه، بما يؤمن معه حدوث الاختلاف؛ لأن الإصلاح إنما هو الفعل الذي يكون معه إصلاح ذات البين، فسواء كان ذلك الفعل الذي يكون معه إصلاح ذات البين قبل وقوع الاختلاف أو

(١) المصالحة وخطابها، عبدالرؤوف أحمد عبدالغفور، ص ٥-٦.

(٢) دور الصلح العشائري في تحقيق السلم الاجتماعي، محمد سعيد صلاح، ص ٢٢.

(٣) جامع البيان، الطبري ٣/ ٤٠٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٥/ ٤٠٦.

(٥) دور الصلح العشائري في تحقيق السلم الاجتماعي، محمد سعيد صلاح، ص ٣٢.

واجب.

١٠. رفع النزاع بين الحاكم والمحكوم.
قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [النساء: ٥٨ - ٥٩].

قال أبو حيان: «فإن اختلفتم أنتم وأولوا الأمر في شيء من أمور الدين»^(١).
وقد ذكر القرآن الكريم في هذه الآية كيفية رفع النزاع بين الحاكم الذي سمي (أولي الأمر) وبين المحكوم أو الرعية، وهي الرجوع إلى الله (القرآن الكريم) ورسوله (السنة النبوية).

ولهذا يقول الشيخ السعدي: «أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله وإلى رسوله أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلاقية، إما بصريحهما أو عمومهما، أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهوماً، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه؛ لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما»^(٢).

ثالثاً: تحقيق الأمن:

الأمن في القرآن الكريم يراد به الأمن في الدنيا والآخرة، أما الأمن عند الآخرين فالمقصود فقط أمن الدنيا لا غير.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

يقول ابن كثير مبيناً ما ذكرنا من شمول الأمن في القرآن للدارين: «هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، لو لم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة»^(٣).

الأمن وأنواعه في القرآن:
ذكر المختصون في هذا المجال أنواعاً كثيرة للأمن، أوصلها بعضهم إلى (٢٦) نوعاً^(٤).

والقرآن الكريم أشار إلى عدة أنواع من الأمن، كل نوع منها تدرج في حفظ أمن الفرد أو المجتمع، ونحن نذكر هنا بعضاً منها للتوضيح:

١. الأمن الجماعي في القرآن.

قال تعالى حاثاً المؤمنين على التمسك بدينهم الذي هو سر وحدتهم، والسبب الرئيسي لأمنهم واستقرارهم: ﴿وَأَعْتَصِمُوا

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٢٩٤.

(٤) انظر: الأمن في ضوء القصص القرآني، سامي محمد بشير الجديدة ص ١٠.

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ٣/ ٦٨٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٨٣.

إِلَيْنِهِمْ رَحْلَةَ الشَّيْءِ وَالصَّيْفِ ﴿٤﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٥﴾ الَّتِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ [قريش: ١]

[-٤].

٤. الأمن النفسي والشخصي.

كل فرد في المجتمع بحاجة للاطمئنان على عيشه وتأمين حياته، كي يكون في حالة توازن وتوافق، والقرآن الكريم يشير إلى هذا النوع من الأمن بقوله: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا فُلْيَوْدِ الَّتِي أَوْفَيْنَ آمَنَتَهُ وَلَسْتَ بِاللَّهِ رَبُّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

أهمية الأمن وكونها إحدى المقاصد في القرآن:

عند ذكرنا لأنواع الأمن في القرآن تبين لنا أهمية الأمن، ولتأكيد هذا فقد عد الأمن من أهم المقاصد في القرآن «فالله سبحانه وهب الإنسان نعمة الحياة، جعل حياتها وحفظها كلاً وجزءاً مادةً ومعنىً في طبيعة الأهداف التي أبرزها دينه الخالد، وبعث بها رسله الأكرمين، ولذلك قرر لها من الحقوق والواجبات ما يحفظ لها ضروراتها الخمس المتمثلة في الدين والعقل والنفس والمال والعرض، ويكفل لها طمأنينتها ورخاءها»^(١).

فتحقيق الأمن مقصد من مقاصد

يَجْعَلُ اللَّهُ جَمِيعًا وَلَا تَعْرَفُوا وَأَذْكُرُوا يَمَتَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِذِكْرِكُمْ أَعْدَاءَ قَالَتْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿آل عمران: ١٠٣﴾.

أمن الدولة، والقرآن الكريم يذكرنا بدعاء إبراهيم الخليل عليه السلام حين يدعو بالأمن والسلام لبلده وأهله، وحمايتها من الأخطار الخارجية والداخلية.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

٢. الأمن الجنائي.

وقد ذكر القرآن الكريم في ذكره للحكمة من القصاص أنها وسيلة لردع المجرم حتى لا يرتكب قاتل آخر ما فعله الأول، وبذلك يأمن الناس من الاعتداء عليهم.

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْآلَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

٣. الأمن الغذائي.

والقرآن الكريم يمن على قريش بأنهم يتمتعون بعيش آمن من خلال حصولهم على احتياجاتهم اليومية الغذائية دون خوف من أحد.

قال تعالى: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٨].

(١) الأمن في الخطاب القرآني وفي شعر صدر الإسلام، فاطمة القاضي، ص ١٨١.

الشريعة، يقول صاحب كتاب المقاصد في المناسك عند ذكره المقاصد الاجتماعية: «المقصد الأول: الأمن على النفس والمال والعرض، مقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية له أعظم الاعتبار ليس في شعيرة الحج فحسب، بل في كل أمر من أمور الحياة التبعية والمعاملات والعادات وجميع أنواع الحياة البدوية والحضرية ... يعطي الشرع الشريف أهمية كبيرة على الحرص على الأمن على هذه المحاور الثلاثة في الاعتقادات والعبادات والمعاملات وفي كل أمور الحياة»^(١).

وفي أثر الأمن على طلب العلم والعمل، يقول أبو حامد الغزالي: «لذا يجب أن نعلم أنه لا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقاً بحراسة نفسه من الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل، وهما وسيلته إلى سعادة الآخرة»^(٢).

رابعاً: معاداة الشيطان وعدم اتباع خطواته:

«الشيطان أو إبليس هو الجان الذي أبى السجود لآدم حين خلقه الله فاستحق لعنته،

وطرد من جنته، ووجبت له النار بعد إنظار الله له إلى يوم القيامة، وأوتي من وسائل الإغواء ما لم يؤت أحد من العالمين»^(٣).

وقد ذكر في القرآن الكريم في آيات كثيرة عداوة الشيطان لآدم وذريته، ومحاولته إغوائهم وصدهم عن السبيل وهدم مجتمعهم وتفكيكهم.

١. خطوات الشيطان في القرآن.

المراد بخطوات الشيطان: «المراحل الشيطانية الموقعة في المعصية بدءاً ببواعث تلك المعصية ودواعيها في النفس، ثم مروراً بارتكابها واكتساب الإثم، ثم انتهاءً بكون تلك المعصية مفتاحاً لما يتلوها من معاص تنتهي إلى غاية الشيطان الكبرى، وهي إيقاع الناس في الكفر والموت على ذلك»^(٤).

وقد وردت في القرآن عبارة (خطوات الشيطان) أربع مرات، وهي:

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا أَنْثَىٰ كَلُوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

جاء في تفسيره «لا تتبعوا سبيله ولا تسلكوا طريقه، لأن الخطوة اسم مكان، وهذا قول الزجاج وابن قتبية، فإنهما قالاً: خطوات الشيطان طرفه، وإن جعلت الخطوة بمعنى الخطوة كما ذكره الجبائي، فالتقدير:

(٣) الشيطان خطواته وغاياته، وائل عمر علي

بشير، ص ٦.

(٤) المصدر السابق، ص ١٠٢.

(١) المقاصد في المناسك، عبد الوهاب أبو سليمان، ص ٦٩.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي ص ١٢٨.

واستباعه إياهم ، إنه لكم عدو مبين أي ظاهر العداوة»^(٣).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

«والفحشاء كل فعل أو قول قبيح، والمنكر ما تنكره الشريعة وينكره أهل الخير»^(٤).

فمن وقع في الفحشاء والمنكر فقد اتبع خطوات الشيطان.
٢. مداخل الشيطان.

الشيطان له غاية كبيرة وهي تمزيق المجتمع وتفكيكه، وللوصول لغايته يستخدم وسائل عدة، وقد ذكرها القرآن الكريم لنحذرهما حتى ننعم بالسلم والأمان، فهو يأمر بالسوء والفحشاء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩].

قال الطبري: «والسوء الإثم، والفحشاء وهي كل ما استفحش ذكره، وقبح مسموعه»^(٥).

وهو يتزغ بين الناس ليفرق بينهم، لذلك يأمرنا الله سبحانه بالقول الأحسن حتى نتجنب نزعات الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ

لا تأتموا به ولا تقفوا أثره ، والمعنيان مقاربان»^(١).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: «أمرهم بالعمل بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام ما استطاعوا، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان، فالذي يدخل في الإسلام مبتعد عن الشيطان وخطواته، والذي يترك شيئاً من الإسلام فقد اتبع بعض خطوات الشيطان، ولذلك كان تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، أو الأكل من المحرمات والخبائث»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسٌ كَلُوا مِنَّا رِزْقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

يقول الألوسي: «معنى الآية استحلوا الأكل مما أعطاكم الله تعالى ، ولا تتبعوا في أمر التحليل والتحريم بتقليد أسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء أنفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان ، أي : طرقة فإن ذلك منهم بإغوائه

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ١٨٦/٥.

(٢) عالم الجن والشياطين، عمر سليمان الأشقر، ص ١٢٨.

(٣) روح المعاني، الألوسي ٢٨٢/٤.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨٧/١٨.

(٥) جامع البيان، الطبري، ٣٠٣/٣.

أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣].

قال الطبري: «إن الشيطان يسوء محاورة بعضهم بعضاً ينزع بينهم، يقول: يفسد بينهم، يهيج بينهم الشر»^(١).

ويخوفهم بالفقر وحثهم على عدم الإنفاق، وبذلك يحدث ثغرة في بناء المجتمع، ويبعد الأغنياء عن الفقراء.

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

قال البيضاوي: «الشيطان يعدكم الفقر في الإنفاق، والوعد في الأصل شائع في الخير والشر، ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل»^(٢).

ويوسوس إلى أوليائه بمجادلة الناس والإكثار من ذلك ليشغلهم عن ظهور الحق.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجْنِدُواكُمْ وَإِنَّ أَطَقْتُمُوهُمْ إِلَّاكُمْ لَمَشْكُورُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

قال الفيومي في معنى المجادلة: «وجادل مجادلة وجدالاً إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، هذا أصله ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، وهو محمود إن كان

للقوف على الحق وإلا فمذموم»^(٣). وتأثير الجدل في هدم المجتمع واضح بين في تفكيك رباط المجتمع وزرع الحقد بينهم.

«والغضب مدخل من مداخل الشيطان، إذ به تحدث الجرائم وتفكك الأسر ويضعف الإيمان وتضعف رابطة الأخوة، فهو شر تنبع منه شروراً كثيرة»^(٤).

(٣) المصباح المنير، الفيومي ٩٣/١.

(٤) البيان في مداخل الشيطان، عبد الحميد البلالي ص ١٠٣.

(١) المصدر السابق، ١٧/٤٦٩.

(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي، ١/١٦٠.

تأويل بمعنى ثانوي^(٢).

٢. المضارع المجزوم بلام الأمر.

قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾

[قريش: ٣].

يقول أبو حيان: «أمرهم أن يعبدوه لأجل

إيلافهم الرحلة»^(٣).

فصيغة الأمر هنا قوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾

وهو عبارة عن لام الأمر داخلية على الفعل المضارع يعبد.

٣. الإخبار بأن ترك الفعل كفر أو

ظلم أو فسق.

مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ

لَا يَحْجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ

وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

يقول الرازي: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

قسم من الله تعالى على أنهم لا يصيرون

موصوفين بصفة الإيمان إلا عند حصول

شرائط، أولها: قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ

فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ وهذا يدل على أن من

لم يرض بحكم الرسول لا يكون مؤمناً^(٤).

فهنا الأمر للوجوب كما ذكرنا من قبل.

(٢) أسلوب الأمر في سورة يوسف، أحمد فتحي رمضان وأحمد محمود عزو ص ٧.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ٥٤٨/١٠.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ١٢٨/١٠.

من أساليب القرآن في الحديث عن السلم

استخدم القرآن الكريم أسلوبين أساسيين وهما:

أولاً: أسلوب الأمر:

استخدم القرآن الكريم أسلوب الأمر بصيغ مختلفة تنطوي على أساليب بلاغية غاية في الروعة، لا تجاريها أسلوب بياني من غير القرآن الكريم الذي أنزله رب العزة، ومن هذه الصيغ المتعلقة بالآيات الواردة في السلم وما يتعلق بها:

١. فعل الأمر.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

[البقرة: ٢٠٨].

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: «صيغة

الأمر في (ادخلوا) من أن حقيقتها طلب

تحصيل فعل لم يكن حاصلًا أو كان مفرطًا

في بعضه»^(١).

فهنا أسلوب الأمر الحقيقي، باستخدام

صيغة فعل الأمر (ادخلوا)، «والأصل في

الأمر أن يراد به الحقيقة، بأن يكون لطلب

الفعل على سبيل الاستعلاء والإيجاب،

وذلك بأداء ما تضمنه الأمر حقًا من غير

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧٦/٢.

٤. أسلوب الدعاء.

قال تعالى في دعاء إبراهيم عليه السلام أن ينعم على مكة بالأمن والأمان والسلام، ويرزقهم من أنواع الثمرات: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وأسلوب الأمر هنا مجازي يسمى الدعاء، مستعملًا فعل الأمر ﴿اجْعَلْ﴾. «إبراهيم الأواه الحليم القانت المستقيم، يتأدب بالأدب الذي علمه ربه، فيراعيه في طلبه ودعائه»^(١).

٥. أسلوب الأمر في سياق النهي، وتفيد معنى الأمر.

قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رِسْقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْبِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَبَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْبِلُواكُمْ وَلَفَعُوا إِلَيْكُمْ أَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْكُمْ سَكِينًا﴾ [النساء: ٩٠].

قال ابن عاشور: «ولذلك أمر المؤمنين بكف أيديهم عن هؤلاء إن اعتزلوهم ولم يقاتلوهم»^(٢).

وهذا الأسلوب وارد في اللغة العربية «فقد ترد صيغة الأمر في سياق النهي، والعكس في عدد من الآيات، ونحن نعلم

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ١١٤.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥/ ١٥٤.

أن النهي أمر في عدم الفعل، وهو في حقيقته أمر، إلا أنه ورد بأسلوب آخر»^(٣).

٦. الأمر على سبيل الاستفهام.

وهو أمر غير صريح، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

وهذا الأمر من أبلغ أنواع الأمر، يقول الدكتور سعود بن غازي أبو تாகي: «والأمر عن طريق الاستفهام له دلالة تزيد عن الأمر بصيغه الصريحة، ومنها:

• الأمر عن طريق الاستفهام أولى بالقبول والإستجابة لما فيه من تلطف في الطلب.

• الأمر في الاستفهام، فيه مبالغة في الطلب.

• الأمر عن طريق الاستفهام يعطي ثباتاً للمعنى وتأكيذاً»^(٤).

٧. الأمر في صورة المصدر.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فكلمة ﴿فَاتَّبِعْ﴾ هنا مصدر أناب معنى

(٣) أسلوب الأمر في سورة يوسف، أحمد فتحي رمضان وأحمد محمود عزو صالح ص ٦.

(٤) صور الأمر في العربية بين التنظير والتطبيق، سعود بن غازي أبو تாகي ص ٢٣٥.

فعل الأمر (فاتبع).

﴿كثيرة﴾ [النساء: ٩٤].

فصيغة النهي في الآية صريح وهي: لا الناهية الداخلة على الفعل المضارع ﴿نَقُولُوا﴾، ومعنى النهي للتحريم لتحذيره من قتل المؤمن.

قال أبو السعود العمادي: «نهي عما هو نتيجة لترك الأمور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبيين»^(٢).

وقال ابن عاشور: «استقصاء للتحذير من قتل المؤمن بذكر أحوال قد يتساهل فيها وتعرض فيها شبه»^(٣).

فقد استخدم القرآن الكريم هذه الصيغة ليحذر من قتل المؤمن، وقتله بغير حق يؤدي إلى تعكير السلم والأمن في المجتمع.

٢. الاستفهام الإنكاري أو التعجبي مقررنا بالتهديد على الفعل.

قال تعالى: ﴿أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].

يقول الطاهر بن عاشور في معنى الآية: «انتقال من الاستدلال إلى التخويف؛ لأنه لما تقرر أنه خالق الأرض ومذلها للناس، وتقرر أنهم ما رعوها خالقها حق رعايته، فقد استحقوا غضبه وتسليط عقابه بأن يصير مشيهم في مناكب الأرض إلى تجلجل في طبقات الأرض، فالجملة معترضة

يقول أحد الباحثين: «فسياق الآية الترغيب في المصالحة في الدماء، وذلك أمر عظيم لا تكاد تذلل النفس العربية إليه سريعاً، ومعالجتها له جد عظيمة، فلا تكاد صيغة (افعل) أو (لتفعل) قائمة فيه بما يراد فعدل عن قوله (فليتبعه) و(فليؤده) إلى اتباع وأداء، مقام فعلي الأمر، فإن في هذا العدول إلى المصدر دلالة على الثبات»^(١).

ومن المعلوم أثر العفو عن القاتل في تمتين العلاقة بينه وبين أولياء المقتول، وذهاب الشحنة والبغضاء بينهما وبالتالي تقوية أواصر المحبة والسلم الاجتماعي.

ثانياً: أسلوب النهي:

استخدم القرآن الكريم أسلوب النهي في حديثه عن السلم وضرورة قيامه في المجتمع. ومن هذه الأساليب المتعلقة بالآيات الواردة في السلم وما يتعلق بها:

١. لا الناهية مع الفعل المضارع.

وهذه الصيغة هي حقيقة في التحريم، بمعنى أنها تفيد تحريم الفعل المنهي عنه.

قال تعالى: ﴿وَلَا نَقُولُوا لِمَن آتَىٰ إِلَيْنَا السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَكَانُهُمْ

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢/٢١٨.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥/١٦٦.

(١) صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، محمود توفيق محمد سعد، ص ٥٥.

والاستفهام إنكار وتوبيخ وتحذير^(١).

٣. كلمات اجتنبوا واتركوا التي تدل على طلب ترك الفعل.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

قال أبو حيان: «اجتنبوا كثيرًا من الظن: أي: لا تعملوا على حسبه، وأمر تعالى باجتنابه، لثلاث يجترىء أحد على ظن إلا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله»^(٢).

فهنا أسلوب النهي باستخدام كلمة تدل على ترك الفعل. ويدل على تحريم الظن أحاديث كثيرة منها:

عن أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا وكونوا إخوانًا، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك)^(٣).

٤. ما اشتق من كلمة النهي يفيد عموم الترك.

وهو أعم من أن يكون حرامًا أو مكروهاً. وهي من أبلغ ما ينتهي به كما يقول الرازي^(٤).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ

يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

فكلمة ﴿مُنْتَهُونَ﴾ مشتق من كلمة (نهى)، والتي تدل على النهي الحقيقي، فالخمر والميسر منهي عنه نهياً حقيقياً لكونه يفسد شربه إلى هدم المجتمع وتهديد للأمن والاستقرار، وقد استخدم هذا الأسلوب في الحديث النبوي بكثرة، منها: عن جابر بن عبد الله، قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كراء الأرض، وعن بيعها السنين، وعن بيع الثمر حتى يطيب)^(٥).

٥. الخبر المعرب عن النهي.

وقد يقع النهي بالجملة الإنشائية، وهو أبلغ في النهي، وهذا كثير في القرآن.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء: ٨٣].

والآية واردة في النهي عن نشر الإشاعة في حالي السلم والحرب.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «فخوض العامة في السياسة وأمور الحرب والسلم، والأمن والخوف، أمر معتاد وهو ضار جداً إذا شغلوا به عن عملهم، ويكون ضرره أشد

(١) المصدر السابق ٣٣/٢٩.

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ٥١٩/٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم ٥١٤٣، كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٤٢٥/١٢.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم ١٥٣٦، كتاب البيوع، باب النهي عن المحاقلة والمزاينة وعن المخابرة، وبيع الثمرة قبل بدو صلاحها، وعن بيع المعاماة وهو بيع السنين.

التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط، والعمل على السوية والعدل في كل أخذ وإعطاء، بل في كل قول وعمل^(٣).
فكلمة ﴿أَلَا﴾ فيه معنى التحضيض المعرب عن معنى النهي.

إذا وقفوا على أسرار ذلك وأذاعوا به^(١).
يقول الدكتور محمود توفيق محمد سعد:
«جمهور أهل العلم على أن الخبر المنفي قد يرد في سياق فيفيد النهي عما دخلت عليه أداة النفي أو لازم ما دخلت عليه، فلا يكون النفي على ظاهره»^(٢).

٦. العرض والتحضيض المراد به النهي.

قال تعالى مذمماً الذين يطففون في الكيل والوزن وينشرون الغش والخداع في المجتمع، فتشيع البغضاء والحقد بين أفرادهم ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤﴾ [المطففين: ١-٥].

يقول الزمخشري مبيناً موضع النهي الوارد في الآية: «إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجترار على التطفيف، كأنهم لا يحفظون ببالهم ولا يخمنون تخميناً، ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة.. وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن، ووصف اليوم بالعظم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصفه ذاته برب العالمين: بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في

(١) المنار، محمد رشيد رضا ٥/ ٢٤٢.

(٢) صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، محمود توفيق محمد سعد ص ٨٤.

(٣) الكشاف، الزمخشري ٤/ ٧٢١.

قواعد السلم مع غير المسلمين

أرسى القرآن الكريم في علاقة المسلم بغيره عدة قواعد ومبادئ، يرجع إليها المسلم في بناء علاقته مع الغير، وقد سار الرسول الكريم والصحابه على هذه القواعد والمبادئ العامة، وسوف أتناول ذلك بالبيان فيما يلي:

أولاً: مبادئ وحدة الإنسانية والتكليف والدين والمصير:

١. الوحدة الإنسانية.

صرح القرآن الكريم في آيات كثيرة بهذه الوحدة، وهي أن الناس جميعاً أمة واحدة، وأن الاختلاف عارض منشؤه الهوى، فكل الناس سواء في الحقوق بغض النظر عن اختلاف اللون والقومية والجنس، ولا محل لنظرية الشعب المختار.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال السعدي: «يخبر تعالى أنه خلق بني آدم من أصل واحد وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، وفرقهم وجعلهم شعوباً وقبائل، أي: قبائل صغاراً وكباراً، وذلك

لأجل أن يتعارفوا»^(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١].

«فالآية تصرح بأن بأن الأصل واحد، فقد خلق الله الناس جميعاً من نفس واحدة وخلق من هذه النفس زوجها، وتولد الناس من هذين الأبوين الكريمين»^(٢).

٢. وحدة التكليف.

تتجه أوامر القرآن ونواهيهِ إلى كل الناس دون تفرقة بينهم، فأوامر القرآن الكريم يطالب بها كل الأجناس والطوائف من عرب وعجم وذكر وأنثى وأبيض وأسود، ورئيس ومروؤوس وغني وفقير.

يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

وقد خاطب الله سبحانه جميع البشر وأمرهم بالتقوى، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١].

وعبارة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وردت كثيراً في القرآن الكريم والمخاطب بها بني آدم كلهم. فالجميع على مستوى من المسؤولية أمام الله، وأمام المجتمع.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٠٢.
(٢) العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، ص ٢١.

٣. وحدة الدين.

الأبدية في الدنيا والآخرة، ولا داعي بعدئذ للفرق والاختلاف في الدين»^(٢).
فالبشرية مصيرهم واحد في أطوار حياتهم وفي نهايتهم.

يقول تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَيْتِ فَإِنَّا خَلَقْتُم مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ لِّأَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا﴾ [الحج: ٥].

وهذا الشعور بوحدة المصير تدفع المسلم إلى بناء علاقة سليمة مع غيره.

ثانيًا: القواعد والمبادئ التي على أساسها يتعامل المسلم مع غيره:

١. مبدأ التعاون الانساني.

التعاون مبدأ عام قرره القرآن الكريم، فقد حث على التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

يقول ابن عاشور: «فهم وإن كانوا كفارًا يعاونون على ما هو بر؛ لأن البر يهدي للتقوى، فلعل تكرار فعله يقربهم من الإسلام»^(٣).

القرآن الكريم آخر الكتب السماوية وخاتمها، فكل كتاب سماوي سابق كانت مناسبة للزمان والمكان الذي أرسلت فيه، وتلتقي الرسائل السماوية جميعًا في الأسس العامة، أما التفصيلات فإنها تختلف باختلاف ظروف كل شريعة، وفقًا للزمان والمكان الذي ظهرت فيه، والإسلام هو دين الأنبياء جميعًا، منذ وجد الإنسان على وجه الأرض.

يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

يقول سيد قطب: «وبذلك يقرر حقيقة الأصل الواحد، والنشأة الضاربة في أصول الزمان»^(١).

وهذا الشعور بالقربى يدعو إلى التعاون والتفاهم وإرساء السلام العميق، فالأصول الكلية واحدة والدين لدى الأنبياء كلهم هو الإسلام.

٤. وحدة المصير.

والمراد بها «عرض جميع الخلائق على ربهم في عالم الآخرة، مما يقتضيهم التزام أمر الله، واجتناب نهيه، فتحقق لهم السعادة

(٢) التفسير الوسيط، الزحيلي، ١٦١٣/٢.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨٧/٦.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣١٤٧/٥.

وانتماؤهم إلى أصل واحد أدعى إلى التعاون والتعارف، والتعارف لا يكون إلا بالتفاعل الإيجابي.

يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ﴾ [الحجرات: ١٣].

وهذا الأساس هو ما يتعامل به مع الناس فتكمل إيمانهم ويدخلون به ملكوت السماوات، وأساس هذا التعاون أن يتظافروا على دفع الاعتداء وإقامة الحق، أو ما يسمى بالتعايش السلمي، وهذا التعاون مطلوب في كل صوره حتى تختفي روح التناحر والنزاع. ٢. مبدأ الحرية.

الحرية مبدأ قرآني قرره في آيات عدة كمبدأ للتعامل والتعايش بين المسلم وغيره. «والحرية الحقيقية تبدأ بتحرير النفس من سيطرة الأهواء والشهوات، وجعلها خاضعة لسلطان العقل والإيمان»^(١).

قال تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آرِبًا بآخٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقد نص القرآن الكريم على حرية العقيدة باعتبار أنها لا تبنى بالإكراه والقوة،

(١) العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، ص ٢٩.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فمنع أن يكون الإكراه طريقاً للدين، ومنع المؤمنين من أن يكرهوا أحداً على الدين. ٣. مبدأ العدل.

وقد جاء الإسلام لتحقيق الحق وإبطال الباطل وإقامة العدل مع الجميع الصديق والعدو.

قال تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّيِمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

فالعدل حق للأعداء كما هي للأولياء، والقرآن الكريم لم يعمم الحكم على الجميع بل أعطى لكل حقه، فقال عزو وجل: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِئَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَةً لِّئَلَّوْهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

يقول الطبري: «يعني بذلك: أنهم غير متساوين. يقول: ليسوا متعادلين، ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد، والخير والشر»^(٢).

والعدالة شاملة للجميع، فلا تمييز بسبب دين أو لون أو عرق. وإقامة العدل أثر كبير (٢) جامع البيان، أبو جرير الطبري، ١١٨/٧.

٥. مبدأ الفضيلة.

وهي من الأسس المهمة التي أكد عليها القرآن في تنظيم العلاقة بين الأفراد أو بين الجماعات في حالتي السلم والحرب. والفضيلة حق لكل إنسان بحكم إنسانيته والتي هي وصف مشترك بين كل أبناء آدم. وهي من المبادئ الإسلامية السامية، لما فيها من محافظة على قيمه الرفيعة، ودعوة إلى إقامة مجتمع فاضل يستطيع النهوض بأعبائه.

ومراعاة للفضيلة فقد نهى عن التمثيل بالقتلى والتشويه بأجسادهم، وقتل الأطفال والشيوخ والنساء، ونهى عن التعذيب، حتى لو فعل الغير ذلك. ولا تقتل الأسير ولا يتم تجويعهم.

قال تعالى: ﴿مَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقد ذكر الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره تلك الأمور فقال: «أي: الذين هم مستعدون لقتالكم، وهم المكلفون الرجال، غير الشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال. والنهي عن الاعتداء، يشمل أنواع الاعتداء كلها، من قتل من لا يقاتل من النساء والمجانين والأطفال والرهبان ونحوهم، والتمثيل بالقتلى، وقتل الحيوانات، وقطع

ص ١٨.

في بناء العلاقات السليمة البعيدة عن الحقد والكراهية والتزاعات.

٤. مبدأ الوفاء بالعهد.

والوفاء بالعهد خلق رفيع، سمي بذلك لما فيه من بلوغ تمام الكمال في تنفيذ كل ما عاهد عليه الله، وفي كل ما عاهد عليه الناس^(١).

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَفُؤًا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

والوفاء بالعهد هو السبيل لاستقرار السلام بين الأفراد أو بين الجماعات، ولذلك حث القرآن على الوفاء واعتبرها قوة والنكت فيها ضعفاً، فمن وثق عهده باليمين فقد اتخذ الله كفيلاً، فلا يصح له الغدر والغش.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١].

والقرآن الكريم لا يكتفي بمجرد الدعوة إلى الوفاء بالعهد، بل يجعلها من المبادئ السامية والقواعد الأساسية لإرساء السلم والسلام مع الغير^(٢).

(١) موسوعة نضرة النعيم، مجموعة مؤلفين، ٣٨٣٩/٨.

(٢) انظر: العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة ص ٤٣-٤٤، أسس العلاقات الإنسانية في الإسلام، محمد نجيب نصرات

الأشجار ونحوها، لغير مصلحة تعود للمسلمين. ومن الاعتداء : مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوها، فإن ذلك لا يجوز^(١). وبمراعاة تلك الأسس الأخلاقية في الحروب تميز المسلمون عن غيرهم.

٦. مبدأ التسامح.

بتبعنا آيات القرآن الكريم لم نجد لفظة التسامح ومشتقاتها.

بل وردت لفظة الصفح والعفو، قال تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وكظم الغيظ، قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].
والصبر، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ [الشورى: ٤٣].

ويهدف القرآن في إرساء هذا المبدأ في المجتمع إلى الدعوة للدخول في الإسلام، ونشر روح المحبة والسلام والوئام في المجتمع ونبد التفرقة والاختلاف فيه.

ويتمثل تسامح القرآن مع مخالفه في:

❖ عدم إكراه أحد على الدخول في الدين

ابتداءً، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

[البقرة: ٢٥٦].

❖ إتاحة الفرصة للغير بإبداء آراءه

شريطة عدم المساس بثوابت الدين

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٩.

وأمن المجتمع، وله أن يستخدم الأدلة والبرهان لإقناع الناس، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]^(٢).

❖ الترفق بغير المسلمين في الخطاب والنداء، فقد ورد في كثير من الآيات: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

(٢) انظر: التعايش السلمي في إطار التعددية المذهبية داخل المجتمع المسلم وتطبيقاته في التربية في الأسرة والمدرسة، مزة بنت بريك بن مبارك المحلبي، ص ٣٤-٣٥.

في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ، لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهض للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها»^(٣).

وفي السلم تحصل للنفس حالة التوافق الشخصي أي الرضا عن النفس، والتوافق الاجتماعي، ويحصل للمرء حالة من السعادة والراحة النفسية، لشعوره بالأمن والطمأنينة والثقة، ويشعر كذلك بالسعادة مع الآخرين، لما في علاقته معهم من الحب والاحترام والثقة المتبادلة بينهم، بسبب التكافل الاجتماعي.

٤. توفر الصحة والعافية للفرد، يبعده عن الصراعات والحروب، وسلامته من العاهات والآفات الظاهرة والباطنة.

قال تعالى على لسان ملكة سبأ موضحةً أثر الحروب على المجتمعات وتدميرها: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

يقول القاسمي: «إن الملوك إذا دخلوا قريةً أي عنوةً وقهراً أفسدوها أي أخرجوها وجعلوا أعزة أهلها أذلةً أي بالقهر والغلبة والقتل والأسر ونهب الأموال، وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم، وتقدير

أثر السلم على الفرد والمجتمع

للسلم أثر كبير وهام في حياة الفرد والمجتمع، سنتحدث عنها في النقاط الآتية:

أولاً: أثر السلم على الفرد:

للسلم أثر كبير في حياة الفرد، منها:
٣. حصول الاطمئنان النفسي وراحة البال، والانسجام بين الإنسان ونفسه وضميره.

والطمأنينة هي «الوثوق بالشيء أو سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان، وهي سكون نفس في استراحة عيان»^(١).

فهو نفي الخوف والفرع عن الإنسان فرداً أو جماعةً، فالسلم يحقق راحة البال. وإلى هذا المعنى أشار الماوردي بقوله: «صلاح المرء وانتظامها في الدنيا بسة أشياء: أمن عام تطمئن إليه النفوس»^(٢).

قال تعالى: ﴿إِذْ يَفْشِيكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

يقول ولديورانت: «إن الحضارة تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق؛ لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت

(١) السكينة وطمأنينة النفس في القرآن الكريم، صلاح الدين سليم محمد ص ١١.

(٢) أدب الدنيا والدين، الماوردي ص ١٤٢.

(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت ١/٣.

له بأن ذلك عادتهم المستمرة^(١).

ومن آثارها المجاعات والإعاقات بشتى أنواعها والموت والجرحى والدمار في الممتلكات والأمراض، وتشريد اللاجئين في البلدان المستسلمة بسبب الصراع.

ومن أخطار الحروب : الأسلحة الفتاكة التي اكتشفها العلم ودفعت بأيدي البشرية، مما يوجب استعمالها في الحرب نسف الحضارة، من غير فرق بين الحروب المحدودة والحرب العالمية.. وفي حرب العراق مع إيران قدر مجموع القتلى والجرحى من الطرفين بمئات الألوف، كما أن حرب الروس لأفغانستان خلفت أكثر من مليون قتيل وجريح، بالإضافة إلى أربعة ملايين مشرد، والحرب بالإضافة إلى الهلاك والتدمير، تخلف مشوهي الحرب، والجرحى الذين يتألمون طول حياتهم من ويلاتها، فإن الأسلحة الفتاكة توجب مختلف الأمراض والتشوهات في الإنسان والحيوان والنبات، وقد جاء في تقرير: أن روسيا اشترت خمسة وعشرين مليون عضوًا كاليد والرجل والعين الصناعية، لأجل المشوهين، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، هذا بالإضافة إلى أن الحرب تذر الديار بلاقع، لا تصلح لإنبات النبات إلى آماد بعيدة.

تلك هي حالة الناس في الحروب، والأمور تعرف بأضدادها، فالسلم يجنب الناس مآسي الحروب وويلاتها.

٥. تنشئة الفرد تنشئة صحيحة في حالة السلم.

الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع، وهي نواته، ومنها تخرج الأجيال إلى المجتمع، فإذا ساد فيها السلم والوثام، كانت النتيجة تربية أناس أكفاء. وبوجود التنازع والشقاق في المؤسسة ينعكس ذلك على تربية الأفراد الموجودين فيها.

يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

يقول الشيخ المراغي: «من آياته الدالة على البعث والإعادة: أن خلق لكم أزواجًا من جنسكم لتأنسوا بها، وجعل بينكم المودة والرحمة لتدوم الحياة المنزلية على أتم نظام»^(٢).

يتعاون الزوجان على بناء الأسرة وتحمل المسؤولية، فكل منهما يكمل الآخر، وبهذا التعاون يصلان إلى أفضل النتائج في تربية الأولاد في ظل المحبة والسلام والاستقرار، لأن من أهم عوامل نجاح التربية وجود بيئة صالحة خالية من النزاعات، يقول

(١) محاسن التأويل، القاسمي ٧/ ٤٩١.

(٢) تفسير المراغي ٢١/ ٣٧.

وثيقاً بين أهداف الإنتاج وتنميته وبين عدالة التوزيع بين الأفراد وعدم الطغيان.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

قال سيد قطب: «فالأية تقرر سنة الله، لقريه انها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك، فكثرت فيها المترفون الذين نشروا الفاحشة واستهترت بالقيم والمقدسات والكرامات فلم تدافعهم ولم تضرب على أيديهم، فهي مسؤولة عما يجري لها على أيدي المترفين.»^(٢)

فكلما زاد الإحساس بالأمن لدى المجاميع الواسعة في أفراد الشعب من ناحية، كلما زادت مساحة العدل المتحققة في صوره المتعددة من ناحية ثانية، كل ما زاد التقدم الحضاري في ذلك المجتمع. «فالسلم هو المرتكز الأساس لكل عوامل البناء والتنمية، وتحقيق النهضة الشاملة في كافة المجالات. ولهذا ذكره الله إلى جانب الغذاء، فقال ممتناً على أهل مكة: أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف. بل قدمه على الغذاء، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف»^(٣).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/٢٢١٧-٢٢١٨.

(٣) هدي النبي صلى الله عليه وسلم في إقامة الأمن والسلام، محمد سجاد يونس، مقال

الدكتور عبدالرحمن المحلاوي: «إذا اجتمع الزوجان على أساس من الرحمة، والاطمئنان النفسي المتبادل، فحينئذ يتربى الناشئ في جو سعيد يهبه الثقة، والاطمئنان والعطف والمودة بعيداً عن القلق وعن العقد والأمراض النفسية التي تضعف شخصيته»^(١).

ولهذا يأمر القرآن الكريم أهل الزوجين بالسرعة في إيجاد الحل لمشاكل الأسرة عند وجود شقاق ونفرة بين الزوجين، فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٣٥].

ثانياً: أثر السلم على المجتمع:

١. السلم وعلاقته بعمران المجتمع، تقدم ورقي المجتمع والتنمية المستدامة في المجتمع.

فإذا شعر الإنسان أن السلم والعدل قد شمل الكل، أدى ذلك إلى إقباله على العمل بجدية، وبذلك تكثر الأموال والخيرات، ولكن حينما يرى الاعتداء على الناس ولا يحس بالأمن، يحجم عن مزاولة الأعمال. نلاحظ أن الشريعة الإسلامية تربط ربطاً

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن المحلاوي ص ١١٢.

يقول الدكتور محسن عبدالحميد: «بناء العلاقات على أساس السلم ستساعد كثيرًا على تنمية الحياة والمجتمع وإنجاح خطط التقدم الحضاري والاستفادة القصوى من الأمم المتقدمة، لأجل التغيير والبناء والتعويض عما فات من الخير»^(١).

والتنازع والتخاصم يؤدي إلى انتكاسة في الاقتصاد، لأن الأموال تنفق في وجوه غير مشروعة من شراء السلاح، ودفع التعويضات للمتضررين. أما السلم فيحقق للمجتمع عمارتها وازدهارها، ويسرع تقدم عجلة التنمية.

٢. حصول العدالة والمساواة في المجتمع في حالة السلم، وعدم استئثار فئة على حقوق الآخرين، ويحصل بذلك الاتفاق والتراضي.

والمراد بالمساواة: «تشابه المكانة الاجتماعية والحقوقية والمسئوليات والفرص للناس في المجتمع على النحو الذي تقوم فيه الحالة المتماثلة فيما بينهم»^(٢).

وبناءً على هذه الصورة للمساواة فالحكام والمحكومون والراعي والرعية

متساوون في نظر الشريعة الإسلامية من جهة الحقوق والواجبات الإنسانية، فلا امتياز من حيث الأصل والمنشأ، إنما التفاوت بحسب القدرة والكفاءة والطموح والإبداع والتفوق.

ومن المبادئ التي على أساسها تم السلم في المجتمع: الأخوة والمحبة بين الناس، لذلك أمر الله سبحانه بتوزيع الثروة بالعدل والمساواة، وهذا لا يتم إلا في أجواء الحب والإخاء والمحبة بين الناس.

قال تعالى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ الرَّسُولِ مِنَ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا إِلَانَكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيُصْرَفُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْلَىٰ بِكُمُ الْفَضْلُ﴾ [الحشر: ٧-٨].

فالآية ترفض كل من ينادي بتغذية الصراع بين الأغنياء والفقراء، أو بين الطبقات بعضها مع بعض.

٣. الانسجام الاجتماعي بسبب التكافل والتضامن.

قال الماوردي رحمه الله: «العدل الشامل يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة وتعمير البلاد، وتنمو به الأموال ويكثر معه النسل

منشور على شبكة الألوكة.

(١) الإسلام والتنمية الاجتماعية، محسن عبدالحميد ص ١٣٤.

(٢) الإسلام والأمن الاجتماعي، محمد عمارة، ص ٩٢.

٤. السلم والحرية وأثره في انتشار الدعوة الإسلامية.

من الآثار الهامة في السلم وجود حالة من الحرية تسمح للناس أن تسمع كلام الآخرين ومناقشتها وقبولها، وهذه الحالة لا توجد في الحرب والصراع. «إن حرية الإنسان في الرؤية الإسلامية هي فريضة اجتماعية وتكليف إلهي، تتأسس عليها أمانة المسؤولية ورسالة الاستخلاف، التي هي جماع المقاصد الإلهية في خلق الإنسان.

وفي الاصطلاح الإسلامي: الحرية ضد العبودية، والحر نقيض العبد والرق، وتحرير الرقبة عتقها من الرق والعبودية، فالحرية هي الإباحة التي تمكن الإنسان من الفعل المعبر عن إرادته في أي ميدان من ميادين الفعل أو الترك، وبأي لون من ألوان التعبير»^(٣).

وفي السلم يتمتع الناس بحرياتهم من غير ضغوط أو إكراه، ولذلك سمي الله سبحانه حالة السلم والهدنة مع قریش بالفتح بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمِّمَ نِعَمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا^(٢) وَيُصْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا^(٣) [الفتح: ١-٣].

يقول الزهري: «وما فتح في الإسلام فتح كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى

ويأمن به السلطان، فليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق، من الجور؛ لأنه ليس يقف على حد ولا ينتهي إلى غاية، ولكل منه قسط من الفساد حتى يستكمل»^(١).

فالسلم يدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة وتعمير البلاد، وما أجمل ذلك المشهد لتلك الأمة الجادة في عملها، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

يقول الرازي: «والمعنى أنه تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين إذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم. والحاصل أن عذاب الاستئصال لا ينزل لأجل كون القوم معتقدين للشرك والكفر، بل إنما ينزل ذلك العذاب إذا أساؤا في المعاملات وسعوا في الإيذاء والظلم»^(٢).

فلا يهلك الله أهل القرى بمجرد كونهم مشركين إذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم، وعذاب الاستئصال لا ينزل لأجل كون القوم مشركين فقط، بل إنما ينزل ذلك العذاب إذا أساؤا في المعاملات وسعوا في الإيذاء والظلم، وهذا ما حدث في قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب لما حكى الله تعالى عنهم من إيذاء الناس.

(٣) الإسلام والأمن الاجتماعي، محمد عمارة ص ٨٥.

(١) أدب الدنيا والدين، الماوردي ص ١١٩.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٨/٤١٠.

القتلى ووصف بالحياة، وكذلك مبدأ العفو في القصاص له أثر في الحد من الجريمة وتقليلها.

ففي موضوع أثر العفو في التقليل من الجرائم يقول محمد أبو ركاب: «فشرعية القصاص فيها حياة لنفوس كثيرة، وفتح باب أخذ رأي أولي الدم يفتح باباً للحياة وباباً لسد المشكلات ونشر الأمن والاستقرار»^(٣).

فالمجتمع الآمن هو الذي يأمن الناس فيه على النفس والعرض والممتلكات؛ لأن وجود الأمن والسلم في المجتمع يؤدي إلى الحد من ارتكاب الجريمة، بل كفيل بمنعها نهائياً، وتجربة سيدنا عمر بن عبدالعزيز خير دليل على ما ذكرنا، حيث لم يرتكب الجريمة في عهده إطلاقاً^(٤).

الناس؛ فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً، فالتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، فلقد دخل في تينك الستين في الإسلام مثل من كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر»^(١).

فقد وضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة. وهذه هي حالة السلم في كل العصور، تتلاقى فيها الأفكار والمبادئ ويسمع الناس كل مة الحق بحرية ودون إكراه.

٥. دفع المفسدة وقمع الشرور، وقلة الجرائم المرتكبة في المجتمع.

ففي السلم حقن الدماء التي قد تراق بين المتنازعين، وحماية للنفس البشرية التي حرم الله الاعتداء عليها وقتلها إلا بالحق.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣].

يقول سيد قطب: «والإسلام دين الحياة ودين السلام، فقتل النفس عنده كبيرة تلي الشرك بالله، فالله واهب الحياة، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفي الحدود التي يرسمها»^(٢).

ولتحقيق السلم شرع القصاص في

(٣) المقاصد الاجتماعية من مشروعية القصاص في جريمة القتل العمد، محمد أبو ركاب ص ٣٦٦.

(٤) انظر: الأمن الاجتماعي في الإسلام، أسامة عبدالسميع، ص ١٦٦.

(١) جامع البيان، الطبري ٢٢/٢٥٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/٢٢٢٤.

استعمل هذا المصطلح هو الإمام أبو حنيفة، ثم دون تلميذه محمد بن الحسن الشيباني هذه الأحكام في كتابين: السير الصغير والسير الكبير. فعلم السير هو «قواعد التعامل مع غير المسلمين في دار الكفر وفي دار الإسلام، وقت السلم ووقت الحرب»^(١). وهو ما يعرف بالقانون الدولي.

يقسم الفكر الإسلامي مصطلح السلم إلى أقسام، وهو ما يميز الفكر الإسلامي عن غيره:

١. السلم الداخلي.

يعني به «إصلاح نفسية الفرد ليكون خاضعاً لله في حكمه وأمره، محباً للناس في عسره ويسره، عاملاً للخير في منسلطه ومكرهه، بعيداً عن الأذى في غضبه ورضاه»^(٢).

٢. السلم الأسري.

والمراد به: «إقامة نظام الأسرة على حب تسكن إليه النفس، وسلم لا تشوبه محن ولا نزاع، وحقوق يتوازن بعضها مع بعض»^(٣).

٣. السلم داخل المجتمع.

وتبنى السلم في المجتمع على أسس

السلم بين القرآن والمواثيق الدولية

أولاً: مفهوم السلم بين الفكر الإسلامي والمواثيق الدولية:

١. مفهوم السلم في الفكر الإسلامي.

الفكر الإسلامي هو الفكر الذي ينطلق من الكتاب والسنة الصحيحة.

وقد بين علماءنا الكرام من مفسرين وفقهاء ومحدثين وغيرهم قديماً وحديثاً مفهوم السلم كما جاء في القرآن والسنة.

فقد بحثوا في كتاباتهم طبيعة العلاقة بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول: هل الأصل السلم أم الحرب؟ وتقسيم العالم إلى دار الإسلام ودار الحرب، كما حصل الآن من تقسيمه إلى دول وحكومات.

وبحثوا مسائل الأمان والمعاهدات وأنواعها، وأهل الذمة، ولم ينسوا مسألة أسرى الحرب ومصيرهم والجرحى وكيفية معاملتهم، وكذلك مسألة الضرائب والخراج والغنائم وأموال الحرب. وذكروا المسائل المتعلقة بانتهاء الحرب والصلح وأقسامه وشروطه.

استخدم علماءنا مصطلح (السير) للدلالة على الأحكام المتعلقة بتنظيم العلاقة مع الغير في حالة الحرب. وأول من

(١) أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني، عثمان جمعة ضميرية، ٢٤٠/١.

(٢) مفهوم السلم في الفكر الإسلامي، محمد بازياني، ص ٢٣٩.

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٠.

العلم، وإعطاء الحقوق، ونشر الفضائل في المجتمع، وسيادة القانون. ووثيقة المدينة بين سكان المدينة من مسلمين وغيرهم خير شاهد على ذلك: فقد نظم العلاقة في مجموعة بنود تصب في صالح السلم والسلام في المجتمع على قاعدة الإخاء بين المهاجرين والأنصار، وأنهم أمة واحدة دون الناس، وأنهم كجسد واحد، وأن يدهم واحدة على من عاداهم. وعلى قاعدة العدل والمواطنة والحقوق والواجبات المتقابلة لغير المسلمين، كما أكدت على الحرية الدينية لكل الطوائف^(١). وسلم المجتمع بحاجة لإقامة حكومة عادلة تعمل على إقامة السلم في المجتمع بتربية النفوس على الخلق القويم، ومنع ما يؤدي إلى الاضطراب وتعكير صفو الأمن.

٢. مفهوم السلم في الوثائق الدولية:
١. السلم الخارجي والقانون الدولي العام. يقصد بالقانون الدولي العام: «المواثيق والأعراف الدولية التي تطبق حال النزاعات المسلحة على اختلاف أقسامها، وتهدف إلى تقييد النزاع في حق استخدام أساليب القتال ووسائله، وحماية المتضررين من هذا النزاع، وتخفيف آثاره عنهم، وذلك حفاظاً

على كرامة الإنسان وحقوقه الأساسية»^(٢). وهذا القانون يشمل: قانون لاهاي (١٨٠٩-١٩٠٧) والذي ينظم حقوق وواجبات المقاتلين عند وقوع الحرب، وقانون جنيف والذي يستهدف حماية المدنيين الذين لا يشاركون في الحروب ومعاملتهم معاملة إنسانية (١٩٤٩)^(٣). وقد مرت مفهوم السلم في العلاقات الدولية بعدة مراحل من خلال اتفاقيات، أهمها:

- ✽ معاهدة لاهاي عام ١٨٩٩م: اتفقت الدول الموقعة على أن محاولة التسوية السلمية أمر مرغوب فيه، وقطعت على نفسها عهداً ببذل جهودها.
- ✽ إتفاقية لاهاي ١٩٠٧م: هذه الاتفاقية سدت الثغرات الموجودة في الإتفاقية الأولى، وأسهمت في تأصيل السلم وتفضيل وسائل التسوية في حل النزاعات بين الدول.
- ✽ عصبة الأمم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى: قامت محكمة دائمة للعدل الدولي، وتضمن مادته السادسة عشرة جزاءات توقع على الدول التي تلجأ

(٢) أحكام القانون الدولي في الإسلام، محمد سليمان نصرالله الفراء، ص ٦.

(٣) انظر: الأسس والمبادئ الإسلامية للعلاقات الدولية، علي محي الدين القرداغي، مؤتمر مكة ص ٢٢٤.

(١) انظر نص الوثيقة في: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي رزق الله أحمد، ص ٣٠٥-٣٠٧.

ومراعاة قواعد الحرب أثناء اندلاع الحروب بين الدول والتعايش السلمي وصيانة السلم العالمي. وقد سبق الإسلام كل المواثيق الدولية وأكد الحقوق المنصوص عليها في تلك المواثيق.

ثانيًا: ضمانات تحقيق السلم بين القرآن والمواثيق الدولية:

١. ضمانات تحقيق السلم في القرآن.

الضمان في الاصطلاح الشرعي هو: «ضم ذمة الضامن إلى ذمة المضمون عنه في التزام الحق، فيثبت في ذمتها جميعًا، ولصاحب الحق مطالبة من شاء منهما، ويكون برد الشيء أو بدله، بالمثل أو بالقيمة. أما في الاصطلاح القانوني فيراد به: رابطة قانونية، تكون بمقتضاها مجبرين على الوفاء بأمر ما طبقًا للقانون»^(٢). عندما يقر القرآن الكريم أمرًا أو تشريعًا فلا يكتفي بمجرد الدعوة إليها، بل يضع من الضمانات والأسس ما يجعلها على أرض الواقع.

ولتحقيق السلم في المجتمع، وضع ضمانات نذكرها في نقاط:

الضمانة الأولى: طاعة الله ورسوله ضمان لتحقيق السلم والأمان.

للحروب.

❁ مؤتمر الأمم المتحدة: بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عقد ممثلون عن ٥٠ دولة مؤتمرًا للمحافظة على السلام والأمن في العالم وتنمية الود بين الأمم، وتحقيق التعاون في حل المشكلات الدولية، وأن تكون مركزًا لتنسيق أعمال الأمم للوصول إلى تلك الغايات العامة.

٢. يستند القانون الدولي في الحرب على مصادر، أهمها:

❁ العرف: والمقصود به العرف المتبع بين الدول، والعدالة من الحق الطبيعي أو تعاليم الدين أو إملاء العقل والتأثر بآراء الفلاسفة والمفكرين والفقهاء ورجال السياسة. وتتلور بقرارات هيئات التحكيم أو محاكم العدل الدولية.

❁ الاتفاق: فيبنى بوجه خاص على المعاهدات العامة ذات الصفة التشريعية، إلى جانب المعاهدات الخاصة والتعامل الفعلي المستمر^(١).

مفهوم السلم في القانون الدولي العام هي: إشاعة السلم بين الدول وحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية والودية،

(٢) ضمانات الحقوق والحريات في المجتمع الإسلامي، ناظم عبدالله رشيد، ص ١٧-١٨.

(١) انظر: مفهوم السلم في الفكر الإسلامي، محمد بازباني، ص ٢٧١-٢٨٥.

في كثير من الآيات يربط القرآن الكريم بين حصول الأمن والسلام وبين اتباع أوامر الله سبحانه، وذلك ليؤكد لنا أن السلم يعني الدخول في الإسلام، كما أمر بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وربط دفع المضرة عنه وهو تحقيق السلم بتقوى الله، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

وبعكسه الذنوب والمعاصي تجلب الويلات للإنسان وتدمر أمنه وحياته، كما قال: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وإلى هذا المعنى أشار الرسول الكريم بقوله: (يا معشر المهاجرين: خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض

ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم)^(١).
الضمانة الثانية: إقرار القرآن الكريم لمبادئ السلام.

السلام هو: اسم من أسماء الله الحسنى، والإسلام دين السلام، وتحية المسلمين هي السلام، ودار السلام هي الجنة. وقد أقر القرآن الكريم جملة من المبادئ تعتبر الالتزام بها جزءاً من الإيمان. فالناس جميعاً إخوة مهما اختلفت لغاتهم وأنسابهم وأوطانهم، فهم أبناء أب واحد وأم واحدة، والحب والتعاون وبذل الخير للناس جميعاً هو أساس الإيمان. وفي كثير من الآيات المذكورة في ثنايا البحث فيها الإشادة بالسلام، فكل ما يؤدي إلى إيغار الصدور وإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس حرام لا يجوز فعله، والأديان السماوية واحدة في أصولها وأهدافها العامة. هذه المبادئ وغيرها كفيل بتحقيق السلام في المجتمع ومع غير المسلمين^(٢).

الضمانة الثالثة: التنمية بمعناها الشامل والتي تبناها القرآن الكريم أكبر ضمانة

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، رقم ٤٠١٩، كتاب الفتن، باب العقوبات.

وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٤٦٨، رقم ٧٦٤.

(٢) انظر: مفهوم السلم في الفكر الإسلامي، الدكتور محمد بازياني ص ٢٣٠.

الذمة من أهل الكتاب، وهؤلاء لهم حقوق وعليهم واجبات.

وقد تربط الدولة الإسلامية بغيره من الدول علاقات تترتب عليها مسؤوليات والتزامات، وقد ألزم القرآن الكريم في الحاليتين الوفاء بالعهود والالتزامات، فالوفاء بها ضرورة دينية، وكذلك تعتبر الضمان لتحقيق السلم بين المسلمين وغيرهم.

«إن الضمان الوحيد لتكريس السلم في واقع أي مجتمع، هو ضمان حقوق أفراد، وهذا الضمان ليس من باب الإحسان أو المنة، وإنما هي واجبات على الدولة وحق مقرر لكل مواطن فيها بمقتضى العقد الاجتماعي»^(٣).

وقد كفل القرآن الكريم لهم حرية الاعتقاد والعبادة، ومساواتهم بالمسلمين أمام القانون في كثير من المسائل، وضمن لهم حقوقاً عامة كسائر المسلمين مثل حق حفظ كرامتهم الإنسانية، وعصمة النفس بالإضافة إلى حقوقهم المالية مع وجوب البر والعدل معهم، ولهم الحق في تقلد الوظائف العمومية.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

يقول ابن عاشور: «وهي دليل واضح

(٣) ضمان حقوق الأقليات وأثره في السلم الاجتماعي، صايل أحمد حسن أمارة، ص ٣٥.

لتحقيق السلم، وعدم نشوب الحرب.

والتنمية هي: تلبية الحاجات المتمثلة بتحقيق النمو الاقتصادي والتوزيع العادل للثروات، وتحقيق التنمية الاجتماعية بين أفراد المجتمع، والمحافظة على البيئة وحمايتها، واحترام التنوع الثقافي في المجتمع، وتحقيق التوازن بين المدن والأرياف والتهيئة العمرانية^(١).

والأصل فيها قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

يقول الشيخ المراغي في معنى الآية: «وإنما حكمنا بذلك وجعلناه مقسماً بين هؤلاء المذكورين، لثلا يأخذه الأغنياء ويتداولوه فيما بينهم، ويتكاثروا به، كما كان ذلك دأبهم في الجاهلية، ولا يصيب الفقراء من ذلك شيء»^(٢).

وفي سبيل تحقيق العيش الكريم للفرد فقد ربط القرآن الكريم كثيراً من العبادات والكفارات بالإطعام والكسوة، وحرّم الافتخار بكثرة المال، وأكد على تواضع الأغنياء مراعاة للفقراء.

الضمانة الرابعة: ضمان حقوق الكل من المعاهدين والمقاتلين وأهل الذمة.

في المجتمع الإسلامي تعيش إلى جانب المسلمين من هو على غير دينهم وهم أهل

(١) انظر: الأمن والتنمية، محسن بن العجمي عيسى، ص ٥٣.

(٢) تفسير المراغي ٣٩/٢٨.

على إبطال الإكراه على الدين بسائر أنواعه، لأن أمر الإيمان يجري على الاستدلال، والتمكين من النظر وبالاختيار^(١).

وإذا تعامل المسلمون مع هذا الاختلاف في مجتمعهم المتمثل بوجود أهل الكتاب، انعكس إيجابياً عليهم فيكونون عامل تطور وتقدم، وإذا أهملوها صارت عامل تفرق وتشردم وصراع، تهدد سلمهم، فالحفاظ على حقوقهم مع كونه واجب شرعي، أكبر ضماناً لتحقيق السلم في مجتمعهم.

٢. ضمانات تحقيق السلم في المواثيق الدولية.

في بحث مفهوم السلم في المواثيق الدولية، ذكرنا أهم المعاهدات التي أدت إلى تأصيل مفهوم السلم في العالم. وتبعتها اتفاقيات أخرى بين الأعضاء، فقد عقدت اتفاقية السلم والتسامح في باريس من ٢٥ تشرين الأول - ١٦ تشرين الثاني ١٩٩٥م، وحضرتها الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، وفي تحليل لنص الاتفاقية وضح لنا ما يلي:

✽ تأكيد الأعضاء على إيمانهم بحقوق الإنسان وعزمهم على العيش بسلام.

✽ ركزوا على دور التربية في تنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب.

✽ الخوف من انتشار مظاهر الكراهية

والعنف والإرهاب، وهي أعمال تهدد السلم.

✽ الإعلان عن مبادئ بشأن التسامح، موضعاً معنى التسامح، ودور الدولة في ضمان العدل وعدم التحيز.

✽ يجب أن تتخذ اليونسكو التدابير الكافية بضمان التساوي في الكرامة والحدود للأفراد والجماعات.

✽ التعليم هو أنجح الوسائل لمنع اللاتسامح، أي تعليم الناس الحقوق والحريات التي يتشاركون فيها مع غيرهم، وذلك لكي تحترم هذه الحقوق.

✽ الالتزام بالعمل على تعزيز التسامح عن طريق برامج ومؤسسات^(٢). ونظرة على الوثيقة تبين لنا جانباً من ضمانات تحقيق السلم في المواثيق الدولية، وهي:

✽ حفظ السلم عن طريق النصوص القانونية والمبادئ المقررة لضمان احترام القانون الدولي. إن الكم الهائل من الاتفاقيات الدولية في مجال القانون الدولي تعد شاهداً ودليلاً على حرص المجتمع الدولي على إرساء قواعد قانونية ذات طابع دولي لحماية حقوق

(٢) للاطلاع على نصوص الاتفاقية، انظر: موقع منظمة العدل للتنمية والإحسان. وقد لخصنا أهم الفقرات الواردة فيما يخص السلم.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦/٣.

السلم تتطلب إقصاء العنف و القوة خارج الإطار الشرعي على المستوى الوطني كذلك. هذه السبل تضيفي على مجهودات تحقيق السلم فاعلية واقعية ناجعة.

❖ القوة الإلزامية لقواعد القانون الدولي الإنساني تتميز بصفاتها الآمرة، بمعنى أن قواعده ملزمة لجميع أعضاءه. فالطبيعة الآمرة لبعض قواعد القانون الدولي تجعلها في مرتبة أعلى، وتؤدي إلى إبطال كل ما يتعارض معها أو يخالفها من الاتفاقات التي تبرمها الدول والتي لا تتمتع أحكامها بنفس الطبيعة. (١)

❖ الجرائم في حق السلم من بين الأفعال التي تم تجريمها على المستوى الدولي، و يكون مرتكبها مذنبًا على المستويين، الدولي و الداخلي، و لا يمكن التذرع بالحماية الدبلوماسية، ولا الحصانة على أساس أن القائم بهذا النوع من الجرائم كان في خدمة دولته و اقتصرته مهمته على تنفيذ أوامر السلطة العامة في الدولة .

موضوعات ذات صلة:

الجهاد، الحرب، القتال، القتل، السلام، السياسة

(١) انظر: آليات و ضمانات تطبيق القانون الدولي الإنساني، أنس المرزوقي، مقال نشر في موقع الحوار المتمدن في ٨ / ١ / ٢٠١٤.

الإنسان، حيث تمثل هذه القواعد الجانب الموضوعي للحماية الجنائية الدولية لحقوق الإنسان، والتي تعد في نظري ضماناً مهمةً لهذه الحماية، وإن كانت الصيغة عامة.

ومن بين البنود المتعلقة:

❖ عدم خضوع مجرمي الحرب لنظام التقادم، وتشمل الجرائم ضد الإنسانية المقتربة في وقت الحرب أو السلم، وعدم امتداد الحصانات الداخلية والدولية لمجرمي الحرب.

❖ وجود آلية تضمن تطبيق تلك القواعد من قبل الدول، وهو ما سعت الأمم المتحدة إلى إنشائها، وتبين لنا في ثنايا هذه الدراسة بأن تلك الآليات منها ذات طبيعة وقائية (آلية الإشراف والرقابة) ومنها ماله طابع علاجي كآلية الحماية القضائية.

❖ نشر ثقافة السلم في الدول والمجتمعات، عن طريق التربية والتعليم والبرامج والمؤسسات.

❖ مرحلة الانتقال من نصوص قانونية عقيمة، كثيرًا ما نجحت المصالح السياسية للدول العظمى في إيقاف دواليب وضعها حيز التنفيذ، فرضتها الحاجة الاجتماعية للسلم. و يميّز ذلك عبر إحياء المعطيات الدينية والعقائدية التي تحت على السلم. ثقافة